كتاب

الحدود الكلامية والفقهية

على رأي أهل السنة الأشعرية
ومعه مسألة الشارع في القرآن

لأبي بكر محمد بن سابق الصقلي
ت 493 هـ

تحقيق وتقديم
الدكتور محمد الطبراني



تونس

الطبعة الأولى 2008 م

دار الغرب الإسلامي
العنوان: ص.ب.: 200 تونس 1015

كتاب

الحدود الكلامية والفقهية

على رأي أهل السنة الأشعرية

ومعه مسألة التشابه في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين

تقديم:

رمَتْ صَقَلِّيةُ بأفلاذ كبدِها من وجُوهِ العلماء وأفْذاذِ الأدباء عن قوسٍ واحدة، بعد أن استُضْعفوا في الأرض... واستفزَّهُمُ النرمان فأخرجوهم عن الجزيرة إلاّ من قعد عن علّة، فنقّبُوا في البلاد يبْتغون أماناً حيل بينهم وبينهُ بما أخلفوا الله ما وعدوه... وأنشدوا بلسانِ حالٍ فصيحٍ قولَ شاعرهم، يصوِّرُ فُرقَتَهُم أياديَ سبأ، وتمزُّعَ أمرِهم:

بمكة إِلْفي والحُصَيْبُ[1] به أخي وفي مصر لي نجْلٌ سقته الغمائمُ
وإنيَ منهم واحدٌ غيرَ أنه وشى بيننا واشٍ من البينِ غاشمُ[2]

وممّن وشى به غاشمُ البيْن عُدَّ الفقيهُ أبو بكر محمّد بنُ سابق الصقلي (ت493 هـ)، فأُزْعِجَ عن موطنه إلى مصر وهي كُرْهٌ له، بعد أن قصَّرتْ يدَه

(1) – الحصيب –مصغرا–: موضع باليمن. معجم البلدان (باب الحاء والصاد).

(2) – الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة: 160؛ رت: 75.

فجَائِعُ ما حَلَّ بِصِقِلِّيَّةَ مِن نوائبِ الحَدَثَانِ -على حدِّ قوله-[1]، وأخْنى عليه الدهر بكلكله، وخبا وهَجُه بوجوده في بيئةٍ علمية تعجُّ بالعلماء من كلّ صقع، فلم تتوفرْ له دواعي الاشتهار لغُربتِه ووحدته وغيرِ ذلك مما لم نُحِطْ به علما؛ فكانَ أن اهتبلْنا فرصةَ تحقيق كتابيْه اللذيْن بين يديك، لننفُضَ عن تراثه ما حاقَ به من إهمالٍ أرْبى على تسعة قرون.

وكتُبُ الحدُودِ العامةُ التي تحتجنُ ألواناً من مصطلحات العلوم كثيرةٌ شهيرةٌ، إلا أنها تُعَنِّي الباحثَ فيها فتُلجِئُهُ إلى أن يستعرضَ كثيراً من الموادِّ للظفر ببُغيته، وقد يجدُ المصطلحَ الواحدَ تتَعَاورُه أنظارٌ كثيرةٌ بحسب موقِعِهِ من العلوم، فلا يجدُ مندوحةً منْ أن يقرأ المادةَ برُمّتها ليخْلُصَ له محضُ الحدّ في فنٍّ بعينِه...والكتُبُ التي اختصّت بالتعريف بمصطلحاتِ الأصليْنِ تُغْفيكَ مِن كلٍّ مَا مَرَّ، إلا أنها من القلّة بحيثُ يُعنِتُ الخبيرَ أن يَعُدَّ مما طُبع منها فوقَ عَقْدِ اليد الواحدة.

وقد أدْرك ابنُ فورك (ت 406 هـ) عَوَزَ المكتبة الأصولية إلى إفْرادِ حدودِ أصولِ الدين والفقهِ في سُفَيْرٍ يكفي الشُّداةَ وِزْرَ التّنقير في المطوّلات، فألَّفَ كتاب الحدود والمواضعات، وقَفَّى على أثره الحافظُ أبو الوليد الباجي الأندلسي (ت 474 هـ) بكتابِ الحدود في الأصول، وعَزَّزَ الكتابيْن -تلميذُ الأخيرِ- ابنُ سابقٍ الصقليُّ بثالثٍ سماه "كتاب الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية"؛ فتوارد هؤلاء الثلاثةُ الرؤوسُ على التأليف في هذا الفن، على اختلافٍ في زاوية النظر ومنهج الرّصْفِ، فأوْرَدَ الأولُ تعاريفَ قاصدةً من غير أن يُعْقِبَها بشرحٍ أو تفصيل، وقَصَدَ الثاني إلى تنزيل التعاريف على بعضِ صورِ قضايا الفقه، ليَرْبط بإحكامٍ بين الأصول والفروع،

---

(1) - الحدود الكلامية والفقهية: 82-83.

وثَنَى الثالثُ عِطْفَهُ فَجَمَع بين المنهجيْن، واستهْوته كثرةُ التقسيم والتفصيل الصادرة عن وضوحِ منهجي وامتلاكٍ لناصية الفن، فضمَّنَ الكتابَ ما يُسعفُ -لوْ جَازَ- بإبرازةٍ[1] جديدةٍ له أوسعَ وأكبر، وعرَّفَ بمحاذاةِ حدود الأصلَيْن بلَفِيفٍ من حدود الجدل والمناظرة، ليأتيَ عملُه أجمعَ وأشملَ من كتابيْ قرينيْه.

والملمحُ الفاقعُ في هذا الكتاب، دلالةُ عنوانه وسياقِ فصوله على سبْقِ الأشاعرةِ إلى الجمْع بين قضايا أصول الدين وأصول الفقه، ناهيكَ عن الاعتزازِ المتضخِّمِ حدَّ البأوِ للمؤلِّفِ بالأشعرية اعتقاداً، وهو في هذا ليس بِدْعاً من جُلِّ صيارِفَةِ العلم في غربنا الإسلامي.

وتِلْكَ قلةٌ من دَوَاعٍ درأتْني إلى تحقيق الكتاب ورديفِه، تنضافُ إليها خصوصيةُ كونِ المؤلِّف صَقَلّياً مالكياً، تمثلُ آثارُه جانباً من الفَرَادَةِ التي انمازت بها صقليةُ عن الصُّقْع الأندلسي، وإنْ كان قَدَرُهما بحكم المكان والأوان أنْ يتّحِدَا عند الإطلاق، وإنْ على غَبْنٍ يلحق في الأغْلب أحَدَ الشّريكيْن.

ولَكَ أنْ تعْرف -بعد هذا- أن الكتابَ قد حُجِبَ عن الأنظار ردْحاً من الدهر، وطُوِيَ ذِكرُه إلا مِنْ إشارةٍ حييَّةٍ عند الونشريسي (ت 914 هـ)، حتى عُدَّ بذلك من فائِتِ المكتبة الصقلية، إذْ لم يقفْ عليه أماري، على مَكينِ عارضَتِهِ في الاحتفال لتُراثِ صقلية و تتبّع نتاج علمائها؛ وليس ذلك بمُسْتغرَب إذا ما علمنا أن أوفَى ترجمةٍ لابن سابق في كتب الصِّلاتِ الأندلسيةِلم تَعْدُ الفقرةَ الواحدة، فَأَلْجَأنَا ذلك إلى صنع ترجمةٍ للرجل، تتبّعْنا فيها ذِكْرَ مشيختِه (7) وتلاميذِه (15) وآثارِه (8) وما إلى ذلك، فجاءتْ أوسعَ

(1) – ن معجم مصطلحات المخطوط العربي: 29.

ما كُتب عنه حسبما نعلم، والله أعلم وأحكم.

ولئنْ تَمَّ لي إخراجُ الجزء الرَّديفِ على نسختيْن، فلقد تكاتفتْ نسخٌ خمس عزيزةٌ -إحداها نكرةٌ لم يتعرَّفِ المفهرسُ عليها- لتصحيح كتاب الحدود وتقويمِ ميْله وسِنَادِه، فأسعفتْ بإخراج نصٍّ سليم في الجملة، وتلك منقَبَةٌ لهذا الكتاب أنْ تلافَيْنَا تَبِعاتِ إخراجِه عن نسخةٍ وحيدةٍ كما وَقَعَ لقرينيْه، أعني كتاب الفُورَكيِّ والباجيِّ.

وأنتَ ترى أيها القارئُ المستبْصِرُ أنّ كتابَ الحدودِ قد أفْضى بنا إلى أنْ يستبِدَّ بذَرْوِ من الكلام فوقَ ما نال جزءُ مسألة الشارع في القرآن، فأتى منه مأتى ذوي الفُروضِ منَ العَصَبة؛ وتَعِلّةُ ذلك أن هذا الجزءَ جاءَ من باب عطف الخاصِّ على العام، إذْ هو تفصيلٌ لحدِّ الكلامِ الواقعِ في الحدود، إلاّ أنّهُ واردٌ على سبب، ومن ثَمَّ تلفحُنا منه حرارةُ الانفعال، وينالُنا منه مسُّ حميةٍ عقديةٍ دلّتْ على بعضِ ما كان لعلمائنا من ذبٍّ عن العقيدة، في مواجهةِ مدٍّ باطنيٍّ كان -ولا يزالُ- يسْتشرفُ برأسه الشَّائِهِ كلّما وَهَنَ عظمُ الأمة وذهب ريحُها!.

وليس ينِدُّ عني لِقاءَ ما دَانَ لهم هذا العملُ، أنْ أشكر السادةَ سَدَنَةَ العِلمِ الخُلَّص: الأستاذ الدكتور أحمد شوقي بنبين -مدير الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط- والأستاذ الدكتور عباس ارحيلة، والأستاذ الفقيه عبد الرحمن لكَصير، والناشر الأشهر الخبير الأستاذ الحاج الحبيب اللمسي، والأستاذة خديجة كعريط والأستاذ سمير القدوري، فلهم مني جميعا -بُدَاءَةً ومُنقَلَباً- سابغُ الشكر، وباذخُ الذكر.

وختاماً، فهذا سِفْرٌ -علِمَ الله- لم أستشْرفْ لإخراجه، ولا طمحتْ نفسي للخوْضِ في فنِّه، ولكني دُعيتُ إلى تحقيقه فأجبت، ومبْلغُ طَلِبَتي أن أكون قد قمْتُ ببعضٍ من حقِّه، وإنْ رُدِدتُ إلى أقلَّ من ذلك قنعتُ به،

فحسبي أن أخرجتُ النص من مكمنه، ويسَّرته للتَرَأَةِ ينتفعون به، غيرَ ملتفتين إلى ما دون ذلك من خطأ أو وَهَمٍ أبوءُ بإثْمِه غيرَ عامدٍ!، وشأنُ أولي النُّهى إقالةُ العثار، والتغافلُ عن الزلل...واللهَ أسألُ أن يخلِّصَه من شَوْبِ العُجْب وأنْ يرزقني الإخلاصَ فيه، وإنَّا نعوذُ به -جلَّت قدرتُه- «أن نذهبَ عن قوله، أو نُفْتَتَنَ في دينه، أو تَتَابَعَ بنا أهواؤُنا دون الهدى الذي جاء من عنده»...وصلِّ اللهمَّ وسلّم وباركْ وأنْعِمْ على سيدنا محمد وآله وصحبه .

د .محمد الطبراني (الصّقلي الْحُسَيْنِيّ)

مراكش في يوم السبت 2 رجب عام 1429 هـ

الموافق: لـ 05 يوليوز 2008 م

الهاتف: 0021264812076

tab_med74@hotmail.com